

نظرة في بعض مجهودات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) في إطار مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه إلى مجتمع المعرفة.

د. د. حامد أحمد سعد

كلية التربية غريان/جامعة غريان

مقدمة:

بالنظر إلى أهمية وقيمة المهمة الملقة على عاتق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) تنفيذاً لقرار القمة العربية المنعقد في دمشق سنة 2008م، والقاضي بإقامة مشروع للنهوض باللغة العربية للتوجه إلى مجتمع المعرفة، الذي أوكلت مهمة تنفيذه للمنظمة، وفي إطاره بذلت المنظمة جهوداً واضحة تمثلت في توصيف الصعوبات والمشاكل التي تواجه اللغة العربية، ووضعت لذلك الخطط والبرامج من خلال المؤتمرات والندوات والعديد من المنشورات والمطبوعات للمعالجة وتذليل الصعاب، وفي هذه الورقة أعرض ما أفدته من اطلاع على بعض مطبوعات وإصدارات المنظمة في هذا الشأن، التي تتبنى نشاطات وبرامج تستهدف غايات وأهداف المنظمة في التمكين للوحدة الفكرية بين أقطار الوطن العربي في إطار التربية والثقافة والعلوم، وذلك للرفع من المستوى التربوي والتعليمي والعلمي في الوطن العربي، ليسهم أبنائه بإيجابية في بناء الحضارة العالمية، أضعه أمامكم من منظور رؤيتي المتواضعة الناجمة عن خبرة في المجالين التربوي والتعليمي، لكل مراحل التعليم في ليبيا، معلماً ومفتشاً وخبيراً.

وفي هذا المجال تبنت المنظمة الأهداف المرسومة لمشروع النهوض باللغة العربية، الذي أقرته قمة دمشق 2008م.

ومن أهم ما يمكن الإشارة إليه هو أن لهذه المنظمة الرائدة، العديد من الأعمال والنشاطات المثبتة في جملة من المنشورات والمطبوعات، التي تؤكد على تحقيق أهداف المشروع، من خلال خططها المستقبلية، التي ارتكزت على الأولوية الملحة، والمتمثلة في العناية باللغة العربية، ودعم تعلم اللغات الأخرى، في صورة برنامج أستاذ إلى موجهات تتصل بتطوير كل مدخلات وعناصر العملية التعليمية.

اللغة وأهميتها:

اللغة هي أهم ظاهرة اجتماعية، تقوم عليها حياة المجتمعات والأمم.

وأما الحديث عن أهميتها في هذه الإصدارات، فإن كل القرارات ولإعلانات والمبادرات، والخطط الوطنية والقومية، تتحدث عن أهمية اللغة في إطارها القومي، وأنها تمثل هوية الإنسان العربي، في سياقات متشابهة، تكاد تكون مكررة لبعضها البعض.

وأرى حسب وجهة نظري المتواضعة، أن من أهم ما يتبغى التركيز عليه في أثناء الحديث عن أهمية اللغة العربية هو (أن اللغة وعاء الفكر، بل هي الفكر ذاته)¹، والمقصود باللغة هنا اللغة الأم، أو اللغة الأصلية، التي يتعلمها الطفل منذ الطفولة.

وما دام أن مصطلحي اللغة والفكر يمكن أن نقول إنهما مصطلحان مترادفان بل إنهما وجهان لعملة واحدة، فمعنى ذلك أن الإنسان يستخدم اللغة في عمليات التفكير العلمي، وأن الملكات العقلية العليا المتصلة بالمعرفة تقوى بقوة المهارات اللغوية، وعلى هذا الأساس ينبغي على الإنسان العربي أن يتمكن من لغته الأم، ليتمكن من العلوم الأخرى في إطار سيرورة المعرفة في الذهن (الفكر).

وعليه فإننا نقول: إن اللغة لا تكون ذات قيمة إلا إذا كانت لغة تفكير لمتكلميها. لذلك يتسنى لنا أن نقول: إن قوة منطقية هذه الحقيقة، التي تؤكد كل الدراسات اللغوية الحديثة، تسهم بدرجة أكبر في فهم المتلقي الرسالة المقصودة لبيان أهمية اللغة الأم، وتساعد بدرجة أكبر على تقوية دافعية المتعلم للاهتمام بلغته، حيث إن الدافعية من أهم شروط التعلم الجيد، بل منهم من أكد على أنه لا يحدث تعلم مطلقاً إلا إذا كان المعلم والمنهج والمشرف التربوي والمسؤولون عن العملية التعليمية، قادرين على تقوية دافعية المتعلم للتعلم.

وللإنصاف أن كتيب (أسباب ومسببات تدني مستوى تعليم اللغة العربية في الوطن العربي)، الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أشار إلى ذلك مؤكداً، على أن اللغة تمثل جوهر إنسانية الإنسان، بمعنى أن الله خلق الإنسان ناطقاً أي مفكراً، فالمقاربة واضحة هنا بين اللغة والتفكير.

وما يضع هذا الأمر في قمة المبررات للاهتمام باللغة في أثناء الحديث عن أهميتها، ما ساقه هذا الكتيب في عرضه للحوار مع الحكيم الصيني كونفوشيوس² في هذا المجال، الذي خلص إلى أن الخلل اللغوي يؤدي إلى أن ما يستحق الإنجاز لن ينجز، فيحدث ما يحدث من انحطاط للأخلاق والفنون، فتتحرف العدالة ويضطرب الناس في حياتهم.

خلاصة قلبي في هذا الأمر أن الاهتمام بهذه المقاربة يترتب عليه قيود، تلزم المخططين التربويين لمعالجة مشكلات اللغة ، أن يفكروا جيداً في وسائل تقوية كل ما يتصل بالملكات العقلية العليا، في المصطلح القريب إلى أذهاننا (الفكر)، في نشاطه المستهدف في العمليات التربوية والتعليمية، التي نقصدها في برامجنا التعليمية ، المتمثلة في استهداف المساعدة على النمو والتطور في إطار التعلم الذاتي المبني على أساس (التفكير)، والبعيد كل البعد عن التعلم المبني على أساس الحفظ والتلقين؛ لأن أقرب وأبسط معنى لكلمة (يفكر): يتكلم مع نفسه، ومعنى يتكلم مع نفسه أنه يستخدم مفردات ومعانٍ وسياقات ومقارنات بلغة فكره (اللغة الأم).

وفي إطار الفكر الذي يبنى باللغة فإنه يتدرب على عمليات التفكير بواسطة الرياضيات وعلى هذا الأساس أن الرياضيات والاستعمال الواعي للغة هما أداتان لتنظيم التفكير عند الإنسان.

فالأمر واضح في الربط بين التفكير والرياضيات في عمليات حل المعضلات والمسائل الحسابية، وأثرها في تنشيط وتقوية الفكر (العقل) من خلال الشرط الثاني من شروط التعلم الجيد، وكذلك الاتصال المباشر بالاستعمال الواعي للغة والمقصود بالواعي، الإدراكي، أو المفهومي، أو التصوري المركزي لدلالات التراكيب والسياقات اللغوية من جانبها المعجمي، وقد يكون الأمر يتصل بدلالات مفردات اللغة وسياقاتها الهامشية المتصلة بذات الكاتب أو المتكلم وأسلوبه، وإيحاءاته في غير موضوعها المعجمي أو المركزي.

هذا الأمر بالذات هو الذي دفع المهتمين بمشكلات اللغة الأم في إطار الثنائية اللغوية، أن ينادوا بعدم تعليم أطفالنا في بيئتنا العربية الرياضيات والعلوم بغير العربية؛ لأن في تعليمها بالعربية يساعد ويقوي مستوى التفكير عموماً، وأن الحادث الآن في بعض الأقطار العربية، أن بعض المدارس الأجنبية تقوم بتعليم مادتي الرياضيات والعلوم للأطفال إلى سن الثامنة من العمر، أي قبل الصف الرابع من المرحلة الابتدائية ، يعلمونهم المادتين المذكورتين باللغة الإنجليزية ، وهذا أمر في غاية الخطورة حينما يكون الطفل يتكلم العربية في بيئته ومع أسرته، فتمثل لغته الأم التي يفكر بها.³

اللغة العربية ومشكلاتها اليوم:

للإنصاف أن ما عرضه كتيب (أسباب ومسببات تدني مستوى تعليم اللغة العربية في الوطن العربي) الصادر عن المنظمة الذي تناول تحديد مشكلات اللغة العربية في المدرسة وخارجها، وما جاء من توصيات للعديد من المؤتمرات والندوات التربوية واللغوية، لا تتصف بالتحديد في توصيف التحديات بل تعكس رأياً يتصف بالعموم، الذي لا يمثل الموضوعية العلمية الدقيقة، بسبب دوراتها في دائرة ما هو عام غير القابل للتطبيق، وجُلّها بل كلها استخدمت المصطلحات نفسها في بياناتها وتوصياتها، المتضمنة لأسباب ومقترحات العلاج؛ ونتبين ذلك ما نجده في العديد من الدراسات من خلال ورود بعض توصيفات أسباب الضعف التعليمي للكفاية اللغوية للغة العربية (المهارات اللغوية الأساسية) على هذا النحو:

1-عدم عناية مدرسي اللغة العربية وغيرهم من مدرسي المواد الأخرى باستخدام اللغة العربية الصحيحة.

2-منهج القراءة لا يُخرج القاري المناسب للعصر.

3-ضعف العناية بتطبيق الطرق التربوية الحديثة في تعليم اللغة العربية.

4-توجيه مناهج اللغة العربية نحو تنمية قدرات المتعلم على استخدام اللغة أداة طيعة للتعبير عن المواد الدراسية الأخرى.

وما يمكن الإشارة إليه أن المهم في هذا المجال هو التّوصيف المحدد للظاهرة، وكيفية المعالجة بلغة واضحة قابلة للتحويل إلى آليات وبرامج عملية، وأن ظاهرة الضعف اللغوي واضحة بارزة لا تحتاج إلى دراسات وأبحاث، وللإنصاف أننا نجد بعض ما ورد في كتيب (أسباب ومسببات تدني مستوى تعليم اللغة العربية) ما أبعدنا قليلاً عن ذلك العموم، وأراه قد أدى الغرض في توصيف هذه الظاهرة، بطريقة محددة ودقيقة خالية تماماً من العموم، حينما وصفها في المجالين: المكتوب، والمسموع الذي تغلغل داخل الإدارة ومؤسسات الثقافة والإعلام، والترجمة والتأليف.⁴

من هذا التحديد يمكن لنا أن نقول: إن مشكلات الضعف بدأت ونشأت في المدرسة الابتدائية، فينبغي علينا أن نبحت عن أسبابها داخل المدرسة وبالتحديد في الحلقة الأولى من المدرسة الابتدائية

(الصّف الأول، والثّاني، والثّالث) بالدرّجة الأولى، وأن نتعرف على كل عناصر العمليّة التّعليميّة، المتصلة ببرامج تعليم وتعلم المبتدئين مهارات اللّغة العربيّة في إطار الآتي:

. الكفايات المهنيّة لمعلم المرحلة الابتدائيّة (التّربويّة والعلميّة).

. طرق التّدريس العامّة والخاصّة، المتصلة بطبيعة المادة المتعلّمة، وطبيعة التّلميذ المتعلّم.

. خصائص النّمو للمرحلة العمريّة للمبتدئين (علم نفس النّمو).

وإذا ما تتبعنا النّقاط السّابقة بالفحص والتّدقيق والاستقراء، تبرز لنا مشكلات الضّعف والنّقص في أكثرها، الأمر الذي ساعد على بروز هذه المشكلات والظواهر في مستوى التّعبير الوظيفي والكتابي.

إذن أسباب الضّعف تكمن في:

ضعف الكفايات المهنيّة للمعلّم، بمعنى أن معلّم الصّفوف الأولى في الوطن العربيّ بكامله، لم يتمّ إعداده قبل الخدمة الإعداد المناسب لتعليم المبتدئين أساسيات المعرفة (الاستماع، والقراءة، الكتابة، والاتّصال والتّواصل).

وحتى لا أقع فيما وقع فيه غيري، من أن يكون كلامي عاماً غير محدد المعالم، يلزم أن أقول:

إن معلّم الصّفوف الأولى لابد أن يتزود قبل الخدمة في أثناء الإعداد الأولي، وبعد الخدمة لمواكبة النّطور، بما يمكّنه من تعليم التّلاميذ المبتدئين مهارات الاستماع، والنّطق السّليم للمقاطع الصّوتيّة، والقراءة الصّحيحة.

وهذا لا يحدث إلا إذا كان المعلّم قد تدرب وأتقن قواعد وأساسيات المقطع الصوتي للكلمة العربيّة، بمعنى أن يكون قادراً وبمهارّة كافية على (النّهجية) ، وأن يستخدم المشافهة المستمرة في إطار الممارسة التّربويّة، التي تعني التّكرار الموجه عملاً بقول سيوييه (الحروف اتممتها أثنين وأربعين حرفاً جيدها وردئها تؤخذ مشافهة...) ⁵، وكذلك عملاً بما يؤكده المحدثون من علماء الدّراسات اللّغويّة الحديثة ، والذين يجمعون على أنّ مهارات اللّغة الأساسيّة لا تتعلّم إلا بالمشافهة، عن طريق مقاطع اللّغة الصّوتيّة، من خلال الوعي الصّوتيّ للكلمة والجملة العربيّة.

وأستعرض هنا مقارنة بين القدامى والمحدثين في محاولة لإيجاد الصلة الترادفية بين (التهجية)، الذي اعتمد عليها أجدادنا وأسلافنا في التعليم من خلال المساجد والكتاتيب، والوعي الصوتي (المقطع الصوتي) الذي استخدمه المحدثون في تعليم المهارات اللغوية، فالقدامى كانوا يعلمون مهارات اللغة العربية من خلال القرآن الكريم معتمدين على أمور منها: الاستماع الجيد، والنَّهْجِيَّة، والمشافهة، حيث إنَّ القرآن الكريم لا يمكن قراءته وحفظه إلا عن طريق معلم يتقن صفات ومخارج حروف وأصوات اللغة العربية، ويحسن (التهجية).

ولما تحولت المدرسة العربية وانتقلت في صورة متطورة عن الكتاتيب، إلى ما يسمى بالمدرسة الحديثة، ابتعد معلمو الصفوف الأولى عن (التهجية)، ولم يهتموا بالوعي الصوتي (المقاطع الصوتية)، الأمر الذي أدَّى إلى ضعف في اكتساب المهارات اللغوية الأساسية (الاستماع، القراءة، الكتابة)، فبرز هذا الضعف في صورة ظواهر تمثلت فيما يعرف بـ (النَّهْيُ⁶، والعزوف⁷) ولتكتمل المقارنة أقول:

إن التهجي يعني القدرة على التقطيع الصوتي للكلمة المعتمد على المشافهة والممارسة التربوية، التي يُعتمد عليها في تعليم المهارات القرائية والكتابية لجميع لغات الدنيا.

وقبل أن اتحدث عن مسألة أخرى لابد أن أعطي أمثلة لتهجي المقطع الصوتي للكلمة:

- كلمة (إِبْرَاهِيمُ)

تُقسم إلى المقاطع الصوتية الآتية :

إِبْ + رَا + هِي + مُ

إذن كلمة إبراهيم تنقسم إلى أربعة مقاطع صوتية، ولا يمكن أن نقول: إنها تتكون من ثمانية حروف، وإنما ينبغي أن ندرك أنَّ الألف الوسطى ليست حرفاً، وإنما هي مد للفتحة، وكذلك الياء ما قبل الحرف الأخير هي مد للكسرة، وعلى هذا "أنَّ اللغة مكونة من كلمات ومقاطع وأصوات وأن هذه المكونات يمكن تشكيلها بطرق عديدة"⁸

- كلمة (نَعْبُدُ)

تُقسم إلى المقاطع الصوتية الآتية :

نَعُو + بُ + دُ .

كلمة (رَسَامُ)

نُقسم إلى المقاطع الصوتية الآتية :

رَسْمُ + سَا + مُ

هذا أساس تعليم مهارة القراءة، والتي تؤدي بالضرورة إلى تعلم مهارة الكتابة؛ لأن من يتهجى للقراءة يتهجى للكتابة.

وأما ما جاء في دليل المعلم لمادة اللغة العربية للصفوف: (الأول، الثاني، الثالث، من مرحلة التعليم الأساسي) وهو أيضاً من إصدارات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) في الصفحة 33 وما بعدها أقول:

فعلاً أن الطفل يدخل المدرسة وهو قادر على أن يعبر عن رغباته وحاجاته، ويتواصل مع الآخرين بلغة البيت والسوق بكفاية عالية، والأبعد من ذلك أنه يستعمل اللغة معتمداً على قواعدها العمومية المرتبطة بالمفرد والجمع، والمذكر والمؤنث، والزمان، والملكية وغيرها، ولا يخطئ فيها، فهو في هذه السن يمتلك عقلاً نشطاً يستطيع بواسطته أن يستخلص عموميات اللغة (القواعد الأساسية العامة للغة)، من ذلك الخضم المتلاطم من الكلام الذي يستمع إليه في بيئته الخاصة قبل دخول المدرسة، عن طريق محاكمات عقلية دقيقة يستبدل فيها الفرضيات الخاطئة بأخرى صحيحة، من خلال كثرة الأسئلة والاستفسارات، التي يصفها البعض أحياناً بالساذجة.⁹

وما يحتاجه التلميذ في المدرسة هو تعلم المهارات القرائية والكتابية، مستفيداً من ذلك المخزون المعرفي في إطار برنامج تربوي تعليمي، يستغل قدرات الطفل الفطرية ويعتمد الطريقة الوحيدة التي أشرنا إليها سلفاً المرتكزة على: الاستماع، والمشاهدة، والتهجية، والممارسة (التدريب والتكرار الموجه)؛ ليتمكن من النطق السليم للمقاطع والكلمات العربية.

وكذلك ورد في الصفحة المذكورة أعلاه في هذا الدليل أن المؤلف قال: (... يظل بحاجة إلى التدريب على لفظ بعض الحروف كحرف القاف، والحروف اللثوية...)، وقال في الصفحة (34): (أن يردّ المفردات إلى حروفها...)، وقال أيضاً: (أن يركّب كلمات ومقاطع من حروف كاملة، وفق

مبادئ القراءة العربية)، وهذا يتناقض تماماً مع ما ذكرناه بأن اللغة تتشكل من كلمات ومقاطع وأصوت، ولم نذكر أنها تتشكل من كلمات وحروف، التي هي عبارة عن رموز اعتباطية لها أشكال وأسماء، ونشكل لغة التواصل من أصواتها مخارج وصوائت.

الكلام هنا عن مبادئ القراءة العربية عام لا يؤدي إلى فائدة تُذكر، وأن المؤلف استخدم مصطلح الحروف في عمليات النطق والتدريب عليه، وهذا دليل على غياب مسألة الوعي الصوتي (المقطع الصوتي) للكلمة العربية، وأيضاً استخدم تركيب (الحروف الكاملة)، فلا أعرف ماذا يقصد من الحروف الكاملة؟ فلا أعرف في العربية حروفا ناقصة، لنفهم معنى هذا التركيب (الحروف الكاملة).

وأما ما ذكره المؤلف عن طرائق تعليم القراءة في الصف الأول من التعليم الأساسي بقوله: (...). وينبغي عدم الحكم على أفضلية طريقة بشكل عام من طرائق تعليم القراءة)، فإنني أقول:

إنَّ الطريقة الجزئية التي يتحدث عليها، ليست إلا طريقة لحفظ الحروف بأسمائها، وأكثر من ذلك فهي تُعلم نطق الحرف المتحرك فقط، بَِ بِِ بُِ، أي الحرف في حالة الحركة (صوت الحرف)، ولا يمكن نطق الحرف في حالة السكون أو حينما يكون مشدداً، ولا يمكن لهذه الطريقة أن تعلم القراءة والنطق الصحيح؛ لأنَّ حروف اللغة العربية محدودة، وأصواتها غير محدودة، ولا يمكن أن نقرأ الحروف قراءة صحيحة بنطقها متحركة خارج الكلمة؛ لأنَّ أصوات العربية تختلف من حيث كميات الصوت لتلك الحركات، فلا يمكن أن تتساوى حركة الهمزة المكسورة في كلمة (إِبْرَاهِيم)، مع حركة الهمزة المكسورة في كلمة (إِعَادَة) من حيث كمية صوت الكسرة في الكلمتين، مما يؤكد أن الطريقة الصحيحة التي ينبغي أن تُتبع في تعليم مهارات اللغة القرائية، هي التي تعتمد صوت الحرف من خلال الكلمة (الطريقة الكلية)، عن طريق تحليل الكلمة إلى مقاطعها الصوتية، وإعادة تركيبها في ممارسات تدريبية مستمرة وموجهة من قبل المعلم، ولا بأس أن تُستخدم الطريقة الجزئية لحفظ الحروف بشكلها وأسمائها.

وأشار المؤلف أيضاً في الصفحة (35) بقوله: (يحلل الجملة إلى مفرداتها، ثم إلى الحرف المجرد من المفردات التي ورد فيها بأشكاله المختلفة ويسميه).

في هذا الأمر أقول:

ليس المطلوب هو تسمية الحرف، وإنما المطلوب هو نطق صوت الحرف، وهذا لا يتأتى باستخدام مصطلح (التجريد)، الذي يعني تحرير حرف مقصود خارج الكلمة والتدريب على نطقه خارجها،

وهذا محال في حالة ما يكون الحرف ساكناً ففي كلمة (مَسْجِدٌ) -مثلاً- لا نستطيع تجريد حرف (السَّيْن) من هذه الكلمة وننطقه خارجها؛ لأنه ساكن حيث يحتاج الأمر إلى همزة وصل، أو حرف قبله الذي بالضرورة يكون متحركاً لتتوصل إلى نطق الحرف الساكن، وهذا يؤدي إلى إضافة صوت آخر على المقطع.

ولا يمكن الخروج من هذه المشكلة إلا بالطريقة الكلية التحليلية، أي تحليل الكلمة إلى مقاطعها وإعادة تركيبها، ولا ضير أن يحفظ التلميذ قبل ذلك الحروف بأسمائها وصورها: أَلِفٌ ، بَاءٌ ، تَاءٌ ، ثَاءٌ ، جِيمٌ ، ... باستخدام الطريقة الجزئية التي يتحدث عنها المؤلف.

ومما يجب الابتعاد عليه في تعليم المبتدئين للمهارات القرائية مصطلح (التجريد)، واستبداله بمصطلح (التحليل وإعادة التركيب للكلمة العربية) الذي أشرنا إليه فيما سبق.

هذا بالإضافة إلى أن المؤلف لم يتعرض إلى السماع، والمشافهة الذين يمثلان مصطلحين أساسيين للوعي بأصوات الحروف المقررة، حيث إن للحرف الواحد عدة أصوات تختلف باختلاف المقطع الصوتي، والأمثلة على ذلك كالتالي:

حرف الباء (ب) له من الأصوات:

بَ بٍ بُ بَا بِي بُو بُ بٍ بَا .

هذا بالإضافة إلى كميات الصوائت في أثناء انثلاف الحروف في كلمات.

خلاصة القول في هذا الأمر:

أن تعليم التلميذ المبتدئ بهذا الأسلوب، لا يؤدي إلى تحقيق الهدف في النطق والقراءة الصحيحة، ويكون الأمر مشوشاً فيحدث أن ينتقل التلميذ إلى الحلقة التالية وهو غير قادر على القراءة الصحيحة، فيصاب بما يسمى بـ (التَّهْيِب والعزوف) في كل ما يتعلق بالقراءة والنطق، وهذا أمر طبيعي أن التلميذ يحاول الابتعاد عن كل أمر لا يتقنه، فيحدث له ضعف شديد في كلِّ المهارات المعرفية اللاحقة، وهذا هو السبب الرئيسي فيما تعانيه اللغة العربية في الوقت الراهن.

وإذا أردنا أن نعالج مشكلات اللغة العربية لابد أن نزيل أسباب (التَّهْيِب والعزوف)، التي تقع للتلميذ في بداية تعليمه، والتي سببت وتسبب هذه المشكلات، وأن نعمل على عدم حدوثها، وذلك بأن

نمكّن التلميذ من إتقان نطق أصوات حروف اللغة العربية، وبالتالي يتمكن التلميذ من القراءة الصحيحة، فيحدث له حب واقتراب إلى أمر هو يتقنه، فتقوى دافعيته إلى تعلم مجالات لغته في حسن الاستماع والفهم، والتعبير، والتفكير، والاستقراء، والتحليل، والتلخيص وغير ذلك.

من خلال ما سبق أن كل المشكلات اللغوية الحادثة الآن في جميع مراحل التعليم في الوطن العربي، سببها الأول ذلك (التهيب والعزوف)، الذي يحدث جزاء عدم تمكن التلميذ المبتدئ من المهارات الأساسية القرائية والكتابية، ويمكن تحقيق ذلك بأمر بسيط نلخصه في التالي:

. أن نضع دليلاً واقعياً يبنى على أساس طبيعة تعليم وتعلم مهارات اللغة الأساسية.

. أن يبنى هذا الدليل على توصيف دقيق لأسباب ومسببات التدني، على أساس طبيعة الواقع الآني لهذه الأسباب والمسببات، من خلال دراسات وتجارب الخبراء المهتمين، الذين لهم باع في مجال التربية والتعليم تدريسا وتفتيشا وإشرافا في المراحل الأولى من التعليم.

- التخلص من بعض المصطلحات ومن أهمها مصطلح (التجريد)، الذي ليس له مكان في تعليم مهارات اللغة العربية تحديداً، فقد يكون له دوره في تعليم وتعلم المهارات القرائية والكتابية للغات أخرى، تختلف صوائنها عن صوائت اللغة العربية، كتابة ونطقاً كاللغة الإنجليزية مثلاً.

. التفريق بين أسم الحرف وصوته، حيث لا يجوز أن نقول إن الكلمة تقسم إلى حروف من ناحية النطق، وإنما الكلمة تقسم من حيث القراءة والنطق إلى مقاطع صوتية؛ لأن اللغة تتكون من المستويات الآتية:

1 . المستوى الصوتي: أدوات الحروف والحركات، وله قواعده وقوانينه وينتج المقطع الصوتي

حرف + حركة قصيرة أو طويلة = مقطع صوتي

2 . المستوى الصرفي: وأدواته المقاطع، وله أيضاً قواعده وقوانينه فهو عبارة عن مقطع + مقطع أو مقاطع = صيغة مفردة لها معنى مفرد.

3 . المستوى التركيبي: وأدواته الكلمات وحروف الربط في إطار القواعد النحوية

كلمة + كلمة أو كلمات = جملة لها معنى مركب.

4. المستوى الدلالي: وأدواته الجملة + السياق + الحال أو ظروف الإنتاج ويؤدي إلى المقترضى الدلالي أو المعنى.

وأما مصطلح الحرف لا يمثل إلا صورة الحرف الكتابية واسمه.

الصِّراع اللُّغوي:

إن اللُّغة العربيَّة تخوض صراعاً لغوياً مع اللغات الأجنبية (الانجليزية والفرنسيَّة)، وهذا أمر طبيعي أنَّ اللُّغة الحيَّة لا بد لها من أن تخوض صراعاً، قد يكون مريراً مع اللغات القريبة منها، ولكن الخوف الشديد من الضَّعف الذي قد يصيبها جرَّاء هذا الصِّراع، والأشدُّ من ذلك أنَّ يتغلغل هذا الضَّعف إلى المؤسسة التَّعليميَّة، وينتقل منها إلى الإدارة ومؤسسات الإعلام والثَّقافة، وكذلك التَّأليف والترجمة، كما هو واقع اللُّغة العربيَّة الآن.

وعليه ينبغي أن نعمل بجد واجتهاد لعلاج أسباب ومسببات هذا الضَّعف، حتى لا يستفحل ويشدَّ فيؤدي إلى ما لا يحمد عقباه من انحسار اللُّغة العربيَّة أو موتها لا سامح الله ، وما يدفعني إلى قول ذلك أن اليونيسكو تدرك بل تؤكد على أن عدداً من لغات العالم مهددة بالانقراض ، ومن بينها اللُّغة العربيَّة، هذا ما ورد في مداخلة اللغوي المصري الدكتور عبد الرحمن طعمة في المؤتمر العالمي حول لغة الطفل العربي في عصر العولمة، الَّذي أقيم في القاهرة في المدة من 17-2007/2/19م، حيث أشار في مداخلته في المؤتمر إلى أسباب موت اللُّغات عددها في ستة أسباب، وجميعها تنطبق على اللُّغة العربيَّة على حسب الدكتور طعمة.

وهذا بالإضافة إلى أن اللُّغة العربيَّة تخوض صراعاً مريراً مع اللُّهجات المحليَّة واللُّغات الأجنبيَّة (الانجليزية والفرنسيَّة).

والصِّراع اللُّغوي يحدث بين اللُّغات كما يحدث بين الشُّعوب على مناطق النُّفوذ، وقد يكون عنيفاً وضارياً إلى درجة انقراض إحدى اللُّغتين المتصارعتين، وليس بالضرورة أن تحل اللُّغة الأجنبية محل اللُّغة العربيَّة، وإنما قد يتسع المجال إلى اللُّهجات المحليَّة وتتراجع اللُّغة العربيَّة الفصحى، وهذا الذي قد يحدث للُّغة العربيَّة في أسوأ الاحتمالات؛ لأنَّ شرط انتصار اللُّغة الأجنبيَّة على اللُّغة العربيَّة غير متوفر.

وفي تقديري أن اللغة العربية خرجت من الصِّراع فيما مضى بشيء من الإيجابيات، في التعبير عن المفاهيم والتصورات الحديثة من خلال تطويعها إلى ذلك عن طريق الترجمة، ولكن المستقبل سيكون الأمر فيه مختلفاً؛ لأنَّ ظاهرة الضَّعف آخذة في الامتداد والتَّوسع، وعمليات الترجمة توسعت مشكلاتها وسلبياتها، وأضرارها بدأت تبرز بصورة متفاوتة ومتباينة بين الأقطار العربيَّة، وفي نظري أن السَّبب في استفحال كل هذه المشكلات بالنِّسبة للغة العربيَّة في معظم الأقطار العربيَّة، هو تعليمي محض، يخصُّ بالدرجة الأولى الحلقات الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، وفي مجال الثَّنائية والصِّراع اللُّغوي، صدر عن مجمع اللغة العربيَّة بالأردن سنة 1978م توصية مفادها: (الحد من طغيان اللُّغات الاجنبيَّة على اللغة العربيَّة ومزاحمتها لها، والتَّوصية بألاَّ يبدأ تعليم اللُّغات الاجنبيَّة إلاَّ مع بداية الصُّفوف الإعداديَّة).¹⁰

وحسب وجهة نظري المتواضعة أن هذه التَّوصية غير عميقة، فيها إجحاف في حق المعرفة الإنسانيَّة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنَّها استخدمت أداة سلبية للمعالجة، وكان ينبغي أن تكون الأداة إيجابية، بمعنى أن تكون التَّوصية تدفع إلى تقوية اللغة العربيَّة على المنافسة، وذلك بتقوية دافعية تعليم وتعلم اللغة العربيَّة، اجتماعيًّا، وتربويًّا، وسياسيًّا، واقتصاديًّا؛ لأنَّه لا يمكن لنا أن نحد من طغيان اللُّغات الاجنبيَّة، ما دامت دافعية الفرد العربي لتعلمها قوية.

هذا بالإضافة إلى أن هذه المشكلة (الثَّنائية اللُّغوية)، ليست متساوية في الأقطار العربيَّة، وإنما فيها من الثَّبَّان والاختلاف ما يدفعنا إلى تحليلها على مستوى كل قطر على حدة، من خلال المنظمة العربيَّة للتَّربية والثَّقافة والعلوم، وتحديد درجات الاختلاف والثَّبَّان ليتسنى لنا وضع المعالجات الحقيقيَّة والمؤثِّرة إيجابياً.

والدليل على ذلك أن هذه المشكلة في بعض الأقطار العربيَّة مختلفة تماماً حيث يتم تعليم اللُّغات الاجنبيَّة ابتداء من المرحلة الإعداديَّة، مما يكون له من الأثر السَّلبي في مجال تدوير وتداول المعرفة الشَّيء الكثير؛ لأنَّ من يتعلم لغة بعد مرحلة الطُّفولة، أي بعد المرحلة الابتدائيَّة، عادة ما يقع في المستقبل تحت مصطلح (الثَّنائي اللغة المختل التَّوازن).

وفي وجهة نظري المتواضعة أن يتم تعليم اللغات الأجنبية من المرحلة الابتدائية؛ لتتخلص من قضية (الثنائي اللغة المختل التوازن)، مع تقوية أساليب تعليم وتعلم اللغة العربية، التي تمثل الفكر العربي لتكون قادرة على التنافس وبقوة.

الخاتمة:

إن المتتبع لمشكلات اللغة العربية في الوطن العربي، يدرك أنها كبيرة ومتشعبة طالت كل المؤسسات الحاضنة للثقافة والمعرفة، وإذا ما نظرنا إلى أسباب ذلك ندرك تماما أنها تعليمية بامتياز، حيث إنها نتاج لعملية تعليمية ضعيفة في جميع مراحل التعليم، لقصور كل عناصر العملية التعليمية عن تمكين التلميذ العربي من أهم مداخل المعرفة والثقافة (مهارات اللغة العربية) القرائية والكتابية.

وبما أن المشكلة طالت كل مراحل العملية التعليمية وجميع عناصرها، ينبغي على المخططين من المنظمات والمؤسسات التربوية تحديد الأولويات للعلاج.

ومن أول الأولويات هو الاهتمام بالعملية التعليمية في الحلقات الأولى من مرحلة التعليم الأساسي بحيث، يتأسس على النتائج الآتية:

- 1- اللغة أصوات، وتعليم وتعلم مهارات اللغة العربية الأساسية يبدأ بأصوات اللغة من خلال الوعي الصوتي (التهجية والشفاهة).
- 2- تدريب التلاميذ المبتدئين على نطق أصوات اللغة العربية (صوامت وصوائت) من خلال الطريقة الكلية، التي تقوم على تحليل الكلمة العربية إلى مقاطعها الصوتية وإعادة تركيبها.
- 3- التركيز على أهمية اللغة من خلال أنها واجهة الفكر، فلا لغة بلا فكر ولا فكر بلا لغة فهما وجهان لعملة واحدة.
- 4- اكتساب مهارات اللغة الأساسية (السمع، القراءة، الكتابة وغيرها) تمثل المدخل الأول والأساس في الاتصال بالعلوم المعرفية عامة، من خلال سيرورة العرفان التي تبدأ باللغة من خلال الإدراك (الاتصال الحسي)، وتنتهي باللغة في إطار بنية لغوية ذهنية.

وفي خاتمة هذا البحث لا مناص من إدراج التوصيات الآتية:

- 1-إعادة النَّظر في برامج التدريب في المؤسسات التي تقوم على إعداد وتأهيل معلمي مراحل التعليم الأساسي، التي تمثل مؤسسات ما قبل التَّعليم الجامعي.
- 2-تدريب المعلمين والمشرفين الفنيين (المفتشين التربويين) في أثناء الخدمة.
- 3-مراجعة برامج إعداد معلمين الحلقة الأولى بحيث تشمل كل ما يتعلق بالوعي الصَّوتي والتهجية.
- 4-إعداد محتوى مناهج الحلقة الأولى بأساليب تربويَّة تعليميَّة تحقق الغاية والغرض.
- 5-إعداد دليل لتعليم مهارات اللُّغة العربيَّة للحلقات الأولى من المرحلة الابتدائيَّة يستند إلى:
أ-المبادئ الأساسيَّة لطرائق التَّدريس.
ب-مبادي علم الأصوات اللُّغوية.
ج -شروط التَّعلم الجيد (النُّضج، الدَّافعية، الممارسة).
د-المقطع الصوتي للكلمة العربيَّة(التهجية).
الهوامش

- 1 -أسباب ومسببات تدني مستوى تعليم اللغة العربية في الوطن العربي - د عبد اللطيف مخلوف. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم-تونس ص 7.
 - 2-المصدر السَّابق ص 8.
 - 3 -ينظر المصدر السابق ص 18.
 - 4 - ينظر المصدر السابق ص 28 - 29.
 - 5 - الكتاب تحقيق عبد السلام هارون 340.
 - 6 - دليل المعلم لمادة اللغة العربية للصفوف الأولى من مرحلة التعليم الأساسي -المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ص 12.
 - 7 - أسباب ومسببات تدني مستوى تعليم اللغة العربية-عبد اللطيف مخلوف-منسق المشروع لطوف العبد الله - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 2010م تونس ص52.
 - 8-الوعي الصَّوتي ومراحل اكتساب القراءة عند الطفل في السنة الأولى ابتدائي نموذجاً-رسالة ماجستير لسعيدة بو القرعة، إشراف الدكتور يوسف يحيوي، معهد الآداب واللُّغات الجزائر ص20.
 - 9-ينظر بحث لنا بعنوان: "قراءة في الدِّراسات والبحوث المتعلقة باكتساب المهارات القرائية الأساسية للُّغة العربيَّة التي تضمنها التَّقرير الصَّادر عن المنظمة العربيَّة للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو)تونس 2014م"-المجلة الجامعة-جامعة الزَّاوية العدد الثَّامن عشر المجلد الثَّالث أغسطس 2016م ص107.
 - 10 - أسباب ومسببات تدني مستوى تعليم اللغة العربية ص43.
- والله ولي التوفيق